

# أدوات التعريب الموابك ووسائله من منظور وُحدوي

بقلم: الدكتور عفيف دمشقية

## مقدمة

لما كان كل إنسان ينتمي بحكم ولادته وقدره المرسوم إلى لغة من اللغات ، وكانت هذه اللغة هي التي ستطبع أفكاره وعواطفه مدى حياته ، فانها هي التي ستتيح له بالتالي أن يتواصل ويتفاهم مع اناس آخرين يشكون معه المجتمع اللغوي الخاص بهم . ذلك ان اللغة في اي مجتمع لغوي تمثل « راموزا » في مكنة كل فرد من أفراد هذا المجتمع فك رموزه وفهم دلالاتها تبعا لنوع من « عقد اجتماعي » لا يدري متى وكيف تم عقده . كما ان الأصرة التي تشد هؤلاء الافراد بعضهم إلى بعض تتمثل في امتلاكهم جميعا إمكانات التعبير ذاتها ، وفي أن ما يستخدمه الفرد الواحد وسائر أفراد المجموعة من كلام يوظف في أذهان كل الأطراف الاصداء عينها .

و « المجتمع اللغوي » اهم اشكال المجتمعات لانه يشرع الابواب لبلوغ مضامير الفكر والثقافة ، ويتلذذاً بمفاتيح الممتلكات الفكرية المستودعة في الاعمال المكتوبة . ومهما تعددت صيغ المجتمع بتعدد العوامل العرقية او السياسية او المنفعية ، فان العامل اللغوي

يبقى انجع الوسائل واكدها لخلق المجتمع المتناسك الذي يحسن فيه كل فرد بالانتماء والولاء بشكل عنوي ، وبلا دافع من منفعة او مصلحة . ذلك لان « المجتمع اللغوي » اقدم اشكال المجتمعات واثدها اصالة وعزاقة . وكما قال غونتررايسن فان : « اللغة روح المجتمع الحقيقية ، وهي التي تؤلف عالما قائما بذاته ، ومحققا وجوده على هذا الاساس . فالمجتمع هو « نحن » التي تهي ذاتها في اللغة وبها تتواصل » (1) وللباحث ان يزعم ان الامة العربية تؤلف من المحيط الى الخليج ، مجتمعا لغويا قائما بذاته ، اذا أخذ في الاعتبار ان اساس اللحمة في هذا المجتمع هو العربية النموذجية المشتركة ( النصحي ) التي هي « الراموز » المشار اليه اعلاه . لكن في متدوره كذلك الادعاء بان هناك « مجتمعات لغوية عربية » لا مجتمعا واحدا ، بالنظر الى شتى « اللهجات » المستخدمة في اقطار الوطن العربي ، لا لان هذه اللهجات لا تبت الى « الراموز » المشترك بسبب ، وانما لان الرموز المستخدمة في كل قطر تتنوع وتختلف تبعا لعوامل

اهمها :  
1 - المفاضلة النابعة عن ذوق خاص بين مفردة

وأخرى للتعبير عن الأمر الواحد ، كما هي الحال في « الوقت » و « الحين » و « الساعة » للدلالة على اللحظة الراهنة .

2 - التحريف الصياغي أو الصوتي اللاحق بالمفردات تبعا لقانون الاختصار الناتج عن الرغبة في اختزال الزمن من جهة ، وتشبها مع « الجهد الأمل » من جهة أخرى ، أو تبعا لقانون تعاقب الحروف وتبادلها ، كما في مختلف الصيغ المستعملة للدلالة على اللحظة الراهنة : « هلق » ( بنطق القاف قافا حيناً ، وهيرة حيناً آخر ) ، و « هلقيت » ، و « دلوقت » ( بنطق القاف قافا حيناً ، وجيها تاهرية مع مداها مدة كسر حيناً آخر ) ، و « الحين » ، و « هنة » ( بالوقف على التاء المربوطة هاء ) ، و « إته » ( بقلب الهاء همزة ولفظ التاء المربوطة ياء مسالة ) .. الخ .

3 - استخدام المفردات المستعارة أو الدخيلة من اللغات التي تدر للمغرب في شتى أقطارهم الاحتكاك بها قديماً أو حديثاً كالفارسية ، والتركية ، والإيطالية ، والفرنسية ، والإنكليزية ، والتي شاعت في الاستعمال للدلالة على المدلول الواحد ، ك « الطاولة » ، و « التريزة » ، و « الميز » ، و « السكيلة » الخ .. لتسمية المنضدة أو المائدة .

وإذا كان من غير المستطاع الوقوف في وجه « اللهجات » ، لأن ذلك من قبيل السباحة عكس التيار ، أو محاولة القضاء - وهي محاولة يائسة إن لم تكن مستحيلة - على طبيعة الأشياء ، فلا أمل من العمل الدائب والسعي المتواصل لتنشيط « الراموز » المشترك تسهيلاً لتواصل أفراد الأمة العربية فيما بينهم ، وشحذ أهباسهم بالانتماء والولاء لمجتمع لغوي واحد ، لأنه امتن أشكال المجتمعات كما رأينا آنفاً . ولعل من بين الوسائل والأدوات الغائبة عن « التعريب ليصبح مواكبا لمطالبات العصر والدور الذي يمكن أن يؤديه في دعم الوحدة العربية » :

#### أولاً : أدب الأطفال والفتيان :

درجت الامم الراقية على اعارة أطفالها وفتياتها بلبخ الاهتمام لانهم عماد الأمة والدم الكفيل بتجديد حياتها الى ما لا نهاية . وكان لظهور علم النفس بعامة ، وعلم نفس الطفل بخاصة ، اثره الكبير في توجيه انظار الكتاب والشعراء الى ضرورة التنبه لـ « الكائن

الصغير » والكتابة عنه وله ، لما للادب والمطالعة من اهمية في نموه العقلي والخلقي والانفعالي والابداعي والاجتماعي .

وكان طبيعياً أن يطلع العرب في نهضتهم الجديدة على منجزات تلك الامم في عالم الطفولة ، وان يحاولوا اقتفاء خطاها في هذه السبيل ، وان يظهر في بعض اقطار العروبة « ادب اطفال » يتفلوت في جودته تفاوتاً شديداً لغلبة التصنع عليه حيناً ، وسيطرة اسلوب الراشدين ولغتهم والفاظهم احياناً .

واذ كانت الطفولة العربية تحتاج منا الى اعداد توييم يؤهلها لدخول عالم الراشدين ، ويهيئها لرسم مستقبل الامة التي تنتهي اليها ، فقد كان لزاماً علينا ، نحن المتطلعين الى رص صفوف هذه الامة بكل ما من شأنه ترسيخ وحدتها القومية ، أن نبذل الغالي والرخيص لفهم طبيعة الناشئة ، ومراسل نموها ، والبيئة التي تعيش وتترعرع فيها ، توصلنا الى خلق ادب يساعدها على النضج من ناحية ، وعلى تعميق شعورها بالانتماء والولاء للعروبة من ناحية ثانية . ويقودنا هذا الى جملة أمور لعل اكثرها الحاحاً الامور التالية :

1 - أن تردف جهود المهتمين اهتماماً صادقاً ( بعيداً عن التطلع الى اى كسب او منفعة تجارية ) بأدب الاطفال في الوطن العربي بجهود خيرة أخرى هدفها القضاء على « تجار ادب الطفولة » الذين لا همّ لهم سوى تحويل هذه الطفولة الى « بقرة حلب » . ولعمري فان اقوم السبل لتوفير مثل هذا المناخ الصحي لعالم الطفولة العربية هو خلق فريق عمل من المربين الاماضل الذين وجدوا فردوسهم المفتوح في هذا العالم الساحر العجيب ، واكتسبوا الكثير من الدراية بشؤونهم ، والمعونة بتطلعات الناشئة ، والخبرة بقواميسها اللغوية ، ومن علماء نفس الطفل الذين وقفوا على اسرار حياته وعالمه نظرياً وعملياً ، وياتوا قادرين على توفير اهلبي الاجواء الصحية له نفسانياً وعقلياً ومسلحياً ، ومن علماء الاجتماع الذين درسوا مجتمع الاطفال دراسة ميدانية الى جانب دراسته الدراسية النظرية ، اهلهم علمهم وخبرتهم لتحديد افضل نماذجهم من الناحيتين الخلقية والاجتماعية ، ومن القصاص الذين مارسوا الكتابة للاطفال والفتيان ، وزودتهم بممارستهم بالقدرة على اجتذابهم الى نتائجهم وتنقيتهم الثقافة التي تعدهم لمواجهة المستقبل مسلحين بكل ما يحتاجون اليه من وعي لإدراك

مشكلاتهم الانسانية والاجتماعية والقومية والسبيل  
الآيلة الى معالجتها وحلها ، ومن اللغويين - ولا سيما  
المهتمين بلغة الطفل - العارفين بخصائص العربية  
واسرارها ، القادرين على ايجاد حوافظ الناشئة  
باصنى اساليب التعبير ، واكثرها قدرة على صوغ  
الفكر ، وابعدا عن متاهات التحذلق والتائق الفارغ ،  
العاملين بصدق على تضييق الشقة بين الفصحى  
الشاملة ارجاء الوطن العربي ، والعاميات المحلية  
المحدودة الرقعة ، بتفصيح اساليب هذه الاخيرة ،  
وتبسيط اساليب الاولى بشكل علمي دقيق يأخذ في  
الحسبان كل العواجل المساعدة على الصميدان التفساني  
والاجتماعي .

2 - لما كان العرب يتطلعون الى جمع شملهم  
وتوحيد كلمتهم فان اول المعالم على طريق الوحدة هو  
تنشئة اطفالهم على هذا الامر القومي الخطير . ولا  
بد لبلوغ هذا الهدف من الخروج بالناشئة العربية  
من حدود وطنها الاصغر ( القطر ) بل الجزء من  
القطر الى رحاب الوطن الاكبر من المحيط الى الخليج .  
ولا يمكن ان يتم لنا ذلك الا بتعريفنا بهذا الوطن من  
اقصاه الى اقصاه ، جغرافيا ، مع التركيز على دور  
المؤثرات المناخية في التباين بالزوي والمسكن وبعض  
التقاليد والمعادنات ، وعلى الموارد الاقتصادية المختلفة  
باختلاف المناطق العربية ، ودور هذه الموارد في نمو  
الوطن العربي وازدهاره اذا احسن العرب استقلالها  
بانفسهم وامتساح خيراتها فيما بينهم ، وبشريا ، مع  
الانحاح على الشيم والمناقب التي تؤلف القواسم  
المشتركة بين ابناء العروبة كانه ، وتراثا شعبيا ،  
مع بيان نقاط التلاقى العائدة الى اشتراك العرب في  
بعض هذا التراث ، ونقاط التباين الناجمة عن  
المؤثرات البيئية البحت .

3 - يقرر علماء النفس ان من تراوح اعمارهم  
بين الثامنة والثالثة عشرة يولعون بالمغامرة والبطولة .  
وهكذا يتضح المجال رحبا امام الفريق الساعى الى  
اسعاد الطقولة العربية وتوثيق عرى الوحدة بين  
افرادها لبلوغ الوحدة الكبرى والاستمرار في تعزيزها  
حين يشبون عن الطوق ، لان يعرفوهم بابطالهم  
القيوميين ، وبشاهير رجال العروبة ونسائهم قديما  
وحديثا ، بوصفهم « اجدادا » عربا ، لا تنبأ لانتمائهم  
الى احد اقطار العروبة او الى احد اقاليم الوطن  
العربي . ولا ندعى ان هذا الاتجاه جديده على الامة  
العربية ، فاكثرا الاطفال والفتيان العرب تعرفوا ، عبر

الكتب المقررة للتدريس ، الى ابطال وبطلات عظام  
من التاريخ العربي واحلوهم من نفوسهم منزلة الاكبار  
والاعتزاز ، فباتوا جزءا لا يتجزأ منهم . والذي نتطلع  
اليه اليوم هو ان يحل الى جانب اولئك ابطال وبطلات  
من التاريخ العربي الحديث ، فلا يكون امثال عمر  
المختار ، وجيلة بوخيرد ، وجيلة بوياسا ، ابطالا  
من « المغرب العربي » ، ولا سعد زغلول ، واحمد  
عرابي ، وجمال عبد الناصر ، ابطالا من « مصر »  
ولا يوسف العظمة ، وابراهيم هنانو ، وجول جمال ،  
ابطالا من « سوريا » ، ولا طانيوس شاهين ، وعمر  
حمد ، وكمال جنبلاط ، ابطالا من « لبنان » ، ولا  
حسن سلامة ، وبسام الشكعة ، ودلال المغربي ،  
ابطالا من « فلسطين » ، ولا ... ولا ... ولا ... ،  
وانما ينفدو هؤلاء وغيرهم من لغذاء الامة العربية  
رجالا ونساء ، ملكا للامة جمعاء ، يعرفهم اطفالها ،  
تاصيهم ودانيمهم ، ويعايشونهم ، ويفخرون بهم  
ويتفاخرون ، ويحتذون خطاهم في الجهاد والتضحية  
والفداء والشهادة لاعلاء شان الامة باسرها .

4 - انه لما كانت اشكال البيئة العربية متعددة ،  
فقد كان من الطبيعي ان تعدد الاسماء بتعدد المسيمات ،  
كما انه لما كانت الاقطار العربية قد عرفت تاثيرات  
وتداخلات لغوية مختلفة ، بفعل الجوار والتبادل  
التجاري ، او بفعل الانتداب والاستعمار ، فقد اصبح  
للمسمى الواحد اسماء تختلف من قطر الى آخر . ومن  
شان ذلك بالطبع ان يخل بنظام « الرموز » المشترك ،  
وان يؤدي بالتالى الى انقطاع التواصل بين  
ابناء العروبة في اكثر الاجيان اذا لجاكل منهم الى رموزه  
المحلى . فالمعروف ان التواصل لا يمكن ان يتم بين  
شخصين الا اذا كانا متفقين سلفا على العلاقة القائمة  
بين الدال والمدلول عليه ، والمتمثلة في « الرموز »  
المتواضع عليه منهما . كما انه من بديهيات الامور  
ان يستحيل ارتسام صورة منضدة مثلا في مخيلة طفل  
عربي من لبنان اذا سمع طفلا عربيا من مصر  
يقول « تربيذة » ، وآخر من العراق او الخليج يقول  
« ميز » ، لانه لا يعرفها الا باسمها المألوف في قطره :  
« طاولة » . وان يستحيل تصور « البطيخة » مثلا  
اذا سميت « دلاحة » كما يطلق عليها في معظم اقطار  
المغرب العربي ، او « رقية » ( بتحويل القاف الى  
جيم قاهرية ) ، كما تسمى في العراق وبعض بلدان  
الخليج العربي .

ولا شك ان تعريف الاطفال العرب بمختلف

الى جانب رفع مستواه الفكرى يقرب تعبيره درجات من مستوى التعبير الفصحى . وعلى العاملين في سبيل التعريب وشد اواصر العروبة وتوحيد ابنائها الا يدعوا وسيلة لاقتناع اولى الشان في كل جزء من اجزاء الوطن العربى بضرورة تعميم التعليم وفرضه حتى المرحلة المتوسطة ( الاعدادية ) على اقل تقدير . فلا يعتل ان يرسخ الشعور بالانتماء الى الوطن الاكبر والولاء له الا اذا تعهدناه منذ نعومة الاظفار . ولا يكون هذا التعهد الا بالتعليم والتربية . ولعل تشرذم ابناء العروبة ما كان ليحدث لو لم تستمت قوى التسلط الغربية في تجهيلهم ، بسلبهم حقا من اقدس حقوق الانسان ، حق التعلم ، وتشجيع اللهجات المحلية ، علاوة على المحاولات الباغية لسرقة اللسان العربى من ابنائه في بعض لجزاء الوطن (2) .

### ثانياً - الاعلام العربى :

بات الاعلام بشتى فروعه كما هو معروف من اقوى الدعائم لتشكيل الفكر القومى ، وتعميق الشعور بالولاء للامة والوطن ، الى جانب انه من اهم العوامل على نشر الثقافة والمعرفة . ووسيلة من وسائل التسلية البريئة ونشدان راحة النفس والاعصاب من عناء العمل وظروف الحياة الحديثة . ويشمل هذا الاعلام ، كما هو سائد ، الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح ، الى جانب الصحافة . ولا تشكل هذه الاخيرة بالنسبة الى الوحدة الثنائية واللغوية عقبة تذكر ، لاختيارها اللغة النموذجية المشتركة ، مع تباين طفيف في بعض الصيغ والمبارات من قطر الى آخر ، ولاعتماها ، منذ اطلالتها على الوطن العربى مع فجر النهضة الحديثة . اسهل الاساليب واقربها الى متناول اعرض الجماهير العربية . كما ان الاذاعات العربية تواضعت على اخراج معظم برامجها بالنصحي المتداولة اليوم بين الناس ، اى اللغة التى يمكن ان يطلق عليها بحق اسم « العربية المعاصرة » والتي اثبتت قدرتها على الاستجابة لمطالب العصر ، وطواعيتها في تلبية كل ابداع مستجد . ولا يحق لاحد بالطبع ان يطالب هذه الاذاعات بالتخلى عن بعض برامجها المذاعة بالاللهجة المحكية المحلية ، لان مثل هذه المطالبة تعنى القضاء على الازجال والاغاني والاهازيج الشعبية ، وعلى صور من الفلكلور لا يجوز طمسها بحال من الاحوال ، بل يجب على العكس

اشكال البيئة في الوطن العربى الاكبر ، والحرص على اختيار ابسط المفردات وانصحها . لهذا التعريف وما يتفرع عنه من تعريفات بمحتويات كل بيئة ، عن طريق ربط الاشياء باسمائها في اللغة النموذجية المشتركة ، من شأنه ان ينتقل بدلالة الاسماء على المسببات من نطاق « الخاص » - اى المحلى والائتملى الذى سيبقى قائما بطبيعة الحال تبعا لمنطق الامور - الى رحاب « المشترك » الذى سيؤلف فيما بعد « الرموز » الشامل المساعد على تسهيل التواصل بين ابناء الامة قاطبة ، والقضاء من ثم على الحواجز اللغوية التى يحس معها العربى ، طفلا ، او يانعا ، او راشدا ، بالغربة تجاه شقيقه العربى اذا ما لجا كل منها الى رموزه وقاموسه المحليين .

5 - على العاملين في سبيل اعداد النائشة العربية اعدادا وحدويا الا يقتصروا جهودهم وبحوثهم على الادب المكتوب ، من قصص ومجلات وموسوعات ورسوم مرفقة بالكلام ، بل عليهم ان يتجاوزوا ذلك الى كل ما افرزته التكنولوجيا الحديثة في حقل الوسائل السمعية - البصرية ، من شرائح تعكس على شاشة خاصة ويطلق على ما تقدمه من مشاهد وصور . واسطوانات واشرطة مسجل عليها الاغاني والاناشيد ، واخرى باشرطة « الفيديو » . الخ . ولقد كنا في لبنان نحفظ ونحن صغار ، كما كان يحفظ اترابنا في سوريا وفلسطين ، اناشيد طالما نفتحنا بعزة قومية اصيلة ، لعل اشدها توافقا مع المقام الذى نحن فيه الآن نشيد مظلمه :

بلاد العرب اوطانى  
من الشام لبفدان  
ومن نجد الى يمن  
الى بضر فنتطوان  
فلا حد يباعدنا  
ولا دين يفرقتنا  
لسان الضاد يجمعنا  
بفسان وعدنان . الخ

وذلك في زمن لم تكن فيه التكنولوجيا قد بلغت بما بلغت ، فكيف باطفالنا اليوم - والوسائل التى ذكرناها كثيرة ، وتعنيها جلية - اذا عمنا عليهم مثل هذه الاناشيد ، وغيرها من صنوف الابداع الفنى ، مداميك اولى في صرح الوحدة الكبرى ؟

6 - التعليم شرط اساسى لاقتبال الطفل على المطالعة والاستفادة من مختلف وسائل المعرفة . وهو

تشجيعها وتشريطها ، شريطة عدم طففاتها على سائر أشكال النتاج الفكرى العربى .

وجل ما يطالب به الاذاعيون العربى فى هذا المقام أن تتضافر جهودهم لانتاج برامج تصور بعض جوانب الحياة فى شتى اقطار العروبة ، والوانا من الفلكلور المحلى ، بلغة فصلى سهلة ، يتم تبادلها وتداولها بين الاذاعات العربية المختلفة ، فيتنسى لسكان القطر الذين لا تبلغهم امواج اذاعة منها ان يتعرفوا الى احوال اخوانهم فى القطر الذى تنتمى اليه هذه الاذاعة او تلك . وقل الامر نفسه فى البرامج التلفزيونية التى باتت تستغرق جزءا لا يستهان به من حياة الانسان اليومية .

وأما السينما والمسرح العربيان فثانتهما مختلف تماما عن شأن سائر فروع الاعلام . ذلك ان نشأتها فى الوطن العربى — وعلى الاخص فى القطر المصرى — قد تمت فى زمن كانت فيه الامية هى السائدة ، بينما كان العلم وفقا على قلة قليلة من الناس . ولم يكن فى الامكان بالطبع المغامرة بنتاج سينمائى مفروض فيه ان يتوجه الى اوسع الجماهير ، بلغة لا تتداولها هذه الجماهير فى حياتها اليومية والعامية ، وذلك لامور ثل اهمها العامل الاقتصادى . فالفترض فى الشريط السينمائى ان يعود بالربح والفائدة على المنتج والمخرج وصاحب الصالة ، او عدم تعرضهم للخسارة على الاقل . ويدهى ان بلوغ هذا الهدف لا يتأتى الا عن طريق تأمين دخل محترم من شبابيك التذاكر بصالات المرض ، اى باقتبال لكبر عدد من المشاهدين . وليس هؤلاء بالطبع سوى عامة الناس ، غير المتعلمين على الاغلب ، الذين لا يمكنهم ان يتضاعلوا ببسر ، وبشكل عفوى ، مع أحداث من الحياة ، ونماذج من البشر يتحدثون بلغة تكاد تكون غريبة عنهم ، ولا سيما اذا أمنت فى استخدام الاساليب السائدة فى تلك الايام . وهى اقرب ما تكون الى المحنطات .

وما يقال عن السينما ينطبق الى حد كبير على المسرح . فكلاهما يفترضان فى المشاهد ان يعيش ما يقدم اليه من صور ووقائع وكأنه احد ابطال الشريط السينمائى او المسرحية . ومن الطبيعى جدا الا يتيسر له ذلك عبر لغة كثيرا ما يقف عاجزا عن حل رموزها لانه لم يتلق قسطا من التعليم يعينه على ذلك . واذا حدث ان بعض الاقطار العربية يفتح صدره اليوم للسينما والمسرح المنتجين باللهجة المصرية ( القاهرية فى اغلب الاحيان ) ، فذلك ناتج عن غزوها اجزاء

من الوطن العربى فى زمن مبكر ، واعتياد الناس رموز تلك اللهجة واستقرارها فى حوائظهم بالحدس والربط بينها وبين الحركات والانعمال المرافقة لها بادية الامر ، ثم عن طريق اتضاح دلالاتها اكثر فاكثرت بفعل التكرار . نقول ذلك مع التاكيد بان عددا من رموز اللهجة المصرية يقيم فى عداد الطلسمات بالنسبة الى غير ابناء القطر المصرى ، حتى اولئك الذين طالت الفتهم للسينما والمسرح المصريين .

واليوم ، وبعد ان زادت نسبة المتعلمين فى الوطن العربى ( نرجو ان يكون اليوم الذى لا يبقى فيه امي واحد على وجه الارض العربية قريبا ) ، بات من الملح البحث عن عربية مشتركة للسينما والمسرح . ولكيلا يتبادر الى الاذهان ان هذه « العربية » المطلوبة لغة جديدة ، او مصطنعة ، نساوع الى القول انها ليست شيئا من ذلك على الاطلاق ، وانما اذ نتقناها فمستندين الى اكثر من دعامة من دعائم تراثنا الذى نعتز به .

نقد توارثنا عن الاجداد قولهم : « لكل مقام مقال » ، وقرانا فى بعض كتب الادب واللغة والبلاغة انه ليس المقصود بـ « الاعراب » — وهى ظاهرة لا يمكن لاحد تجاهلها ، او المطالبة بالفائتها ، تحت اى ستار ، لانها جزء لا يتجزا من اللغة التى ورثناها معرفة كائرا عن كابر — ان يؤمن للمخاطب فهم مراد المتكلم بصورة عامة مطلقة ، كما يطيب لبعض النحاة ان يفعلوا ، وانما تأمين هذا الفهم فى المواضع التى يخشى معها اللبس . وهاهو ذا ابن الاثير — وهو من هو فى اللغة والبيان — يقول فى كتابه « المثل السائر » ان المتكلم لو قال للمخاطب : « ان تقوم اقوم » ، ولم يحذف « الواو » من الفعلين ، او قال : « جاء زيد راكب » ، ولم يتوّن « زيد » تنوين الرفع ، ولا « راكب » تنوين النصب ، او قال : « ما فى السماء قدر راحة سحاب » ، ولم يقم الاعراب فى اواخر الكلمات ، ولا سيما تنوين النصب فى « سحاب » ، لما استغلق المراد على المخاطب ، ولنهم القصد من الكلام . لكن المتكلم ان لم يقم الاعراب فى « زيد » بالرفع والنصب والجر ، وفى « احسن » بالبناء على الفتح وبالرفع ، فى الصيغ الثلاث : « ما احسن زيد » التى تدل اولها على نفى الاحسان عن زيد ، وثانيتها على التعجب من حسنه ، والثالثة على التساؤل عن احسن ما فيه ، وقع اللبس ولم يتسن للمخاطب تمييز القصد .

وعليه نقول ان اللغة المطلوبة للسينما والمسرح  
العربيين ، تأمينا لتواصل العرب وتلاقح أفكارهم  
وتعرفهم بعضهم الى بعض ، ينبغي ان تتواءم فيها  
المتومات التالية :

1 - ان « المقام » ( في السينما والمسرح )  
مقام تتفاعل مع أحداث الحياة اليومية يعيشها بشعر  
مثلنا نشاطهم افراحهم وآلامهم ، وان « المثل »  
المطلوب له يجب ان يتجنب الحذقة التي من شأنها  
ان تقيم حاجزا بين المتكلم ( الممثل ) وبين المخاطب  
( المشاهد ) يمنع المشاركة الوجدانية ويقضى بالتالي  
على الهدف المنشود من العرض السينمائي او المسرحي  
وان يتحاشى كل لفظ غير مانوس ولا متداول في الوقت  
الراهن ، وكل أسلوب لا يبت الى الواقع الحاضر  
بصلة . المطلوب باختصار « مثل » يحاكي العاميات  
الشائعة في الوطن العربي من حيث سهولتها  
واستجابتها الفورية للمواقف الانفعالية ، مع ابتعاده  
كل الابتعاد عن رثائها وعجزها عن اداء الرسالة  
الا الى نفر محدود من ابناء الامة .

2 - ان الاعتدال في اقامة الاعراب في اواخر  
الكلمات - الا في المواضع التي تسهل فيها حركة  
الاعراب النطق ، كما في الاضافة الى المعرفات بـ  
« ال » والمفردات المبدوءة بهزة الوصل مثلا ، وهو  
ما يعرف بـ « منع التقاء الساكنين » - من شأنه  
المساعدة على رشاقة العبارة ، واختصار زمنها ،  
وهما امران مطلوبان في المقام الذي نحن بصدده ،  
مقام التفاعل الاتى البعيد عن كل كد للذهن في البحث  
عن تسلسل الروابط اللغوية ، كما هي الحال في  
الادب المكتوب ..

3 - يجب ان ينصب الحرص على اقامة الاعراب  
داخل الكلمة للتمييز مثلا بين « اخرج » المعلوم  
وصنوه المجهول ، و « ينزل » من الثلاثي وصنوه  
من الرباعي ، و « مكرم » المبني للفاعل والآخر المبني  
للمفعول الخ . نظرا لما لهذا الاعراب الداخلى من  
اهمية في بيان المعاني المقصودة .

4 - يمكن ان تكون نبرة المفعول بديلا من  
الاعراب الممثل في حركة آخر الكلمة . فما لا ريب فيه  
انه لا مجال للبس بين « ما احسن زيد » التي للتعجب  
من حسنه ، والاخرى التي هي للسؤال عن احسن  
ما فيه ، اذا لفظت كل منهما كما ينبغي لها ان تلفظ .  
ثم ان اللغة لا تعدم وسيلة للتعبير عن نفى الاحسان  
عن زيد بغير صيغة « ما احسن زيد » ، وذلك بتقديم

« زيد » هذا الى اول العبارة ، او باختيار اداة للنفي  
غير « ما » .

5 - ان من شأن الواقع الحى الناشئ عن  
الحركات والمواقف المرافقة للكلام الدائر ان يختصر  
كثيرا من عناصر العبارة ، ويختزل الصيغ الى ابسط  
الاشكال ( كلمة او كلمتان احيانا ) . فالاشارة الى  
شئ او مد اليد به يقوم بهما ممثل قبالة ممثل آخر  
يعنيان « خذ » من غير حاجة الى لفظ الفعل . كما  
ان نبرة الصوت المرافقة للفظ الكلمة الواحدة تدل  
دلالات متنوعة ، وتغنى من جهة ثانية عن كلمات  
اخرى كان يجب ان تلازمها لو كان المقام غير المقام .  
وغنى عن البيان انه ينبغي ان تسبق مثل هذه  
التجربة ( التي نرجو مخلصين الا ينظر اليها بعين  
الريبة ، والا تقابل بالانفعال والامكار المسبقة ) ، والتي  
لا تتنافى في اعتقادنا ونقاء الفصحى وبقاها للغة  
القوية الحية ما دمنا نحرص على تعليمها بالطرق  
السليمة لغة قراءة وكتابة كاملة الاعراب ، مستقيمة  
التركيب ، بل هي على العكس من ذلك تدعم الفصحى  
وتشد ازرها لاتزاعها حيزا رحبا من النشاط الفكرى  
والابداعى من برائن اللهجات المحلية ( ابحاث لغوية  
رصينة تكتنه اسرار العربية وتقف على خصائصها  
في موافقة مقتضى الحال ، مسترشدة بأراء اهل  
الاختصاص في شتى الميادين النفسانية والفنية  
والتقنية ، لتكامل الجهود ، وتؤتى التجربة اطيب  
ثمار والاكل . ولا ريب ان مثل هذه الابحاث كفيلة  
باحصاء كل صعوبة قد تخطر على بال ، وتعجز مثل  
هذه العجالة عن وصف الحل الناجع لها ، وقبينة  
بتدليل كل ما يعترض هذا الاقتراح من عتبات .

### ثالثا - مشكلات اخرى :

لعل من تحصيل الحاصل القول ان الجهود  
الرامية الى توحيد العرب بتوحيد لغتهم اكثر من ان  
تحصى . كما ان الابحاث الدائرة في هذا الفلك اكثر  
من ان يحاط بها في دراسة عجلى كهذه الدراسة (3).  
ولكن السمة الغالبة على ما يعرف بـ « التعريب »  
هي محاولة الحد من فوضى المصطلحات العلمية  
والتقنية الناجمة عن نقل العرب ما جد في العصر  
الحديث ، وما يجد كل يوم بسرعة مذهلة ، من  
مكتشفات ومفاهيم في حقل العلوم الصحيحة  
والانسانية ، والعمل على توحيد هذه المصطلحات لخلق

لغة علمية عربية يستوى في فهم رموزها ودلالاتها القاصي والداني من أبناء العروبة . وتلك جهود مشكورة لعمر الحق أجزل الشكر . وإذا كنا نلفت الانتظار الى بعض المشكلات اللغوية بعيدا عن تضيية « المصطلحات » ، فلاعتقادنا بمساس الحاجة اليها مساسها الى الأبحاث الدائرة اليوم ، ولانها في صميم « الوسائل التي تنتمص التعريب ليصبح مواكبا لمتطلبات العصر والدور الذي يمكن أن يؤديه في دعم الوحدة العربية » ، كما هو ملحوظ في جردة الأبحاث المطلوبة في هذه الندوة .

ولعلنا لا نذيع سرا إذا أكدنا ان المصطلح الجديد لا تكتب له الحياة الا بالاستعمال والشيوع ، وانه لكي يتم استعماله لا بد أن يتقبله المستعملون بقبول حسن . ولا يمكن أن يكون قبول ما لم يكن المصطلح محددًا تحديداً دقيقاً بثلاثة أمور رئيسية هي :

1 - الجذر الذي منه اشتق أو ارتجل ، والذي يتضمن الشحنة الدلالية الأساسية .

2 - الصيغة التي سبكت فيها مادة الجذر . والتي تنتقل بالدلالة من المطلق العام الى المعين الخاص .

3 - الزوائد التي قد تعدى حدود الصيغة الملونة لتزويد الدلالة بقدر جديد من التخصيص . ولا يتيسر ذلك الا اذا سبقته أبحاث تهدف الى تحقيق الامور التالية :

1 - تحديد دلالة الالفاظ - ولا سيما في المجالات التي ثبتت الحاجة الى العناية الفائقة بها - بدراستها دراسة علمية دقيقة ، تعضدها الوسائل التقنية والتكنولوجية الحديثة ، في مختلف سياقاتها اللغوية . فلا وجود للدلالة في المطلق ، ولا معنى للفظ في الفراغ ، وانما يتحدد معناها ، او معانيها وظلال تلك المعاني ، في اطوارها الطبيعي المتمثل في سياق العبارة أولا ، ثم في سياق الموضوع العام الذي فيه استخدمت .

2 - الوقوف على ما تطور من الدلالات ، وما احتفظ منها باطواره الثابت كلياً او جزئياً ، بدراسة مختلف النصوص دراسة تاريخية تتناولها في شطائر زمنية تتقارب أو تتباعد تبعاً لمنطلقات محددة تشكل عوامل تطور اجتماعي أو فكري أو سياسي .

3 - استغلال الأبحاث والدراسات المذكورة لوضع « معجم تاريخي » مؤيد بالشواهد والنصوص وشتى الاستعمالات عبر حقبة زمنية معينة يأخذ بأيدي

طلاب العربية والمشتغلين بتثبيتها واغنائها على كل الصعد ، ويساعدهم على اكنائه دقائق الدلالات ، ويبلغهم اهدافهم في ابقاء لغتهم القومية حية وناشرة على مساهرة حاجات العصر ، والاستجابة لكل ابداع ، باستخدام هذه اللغة استخداماً صحيحاً لا يترك مجالاً لحيرة او لاحساس بالتردد او القصور او العجز وتعودنا مشكلة المصطلح العلمي الى مشكلة

أخرى لها أكبر وأعمد ، وان كانت تحتجب أو تكاد وراء الحاج الأولى وبروزها باستمرار تحت ضغط تسارع الاكتشافات العلمية ، واحساس العرب بضرورة اللحاق بركب الحضارة الإنسانية الشاملة ، عنينا مشكلة القول من لغة ، أو لفات ، لها خصائص تركيبية التي تختلف جزئياً أو كلياً عن خصائص العربية ، والتي قد يؤدي عدم الوقوف عليها الى معضلات دلالية ، بل الى عكس الدلالة المرادة في بعض الأحيان . وقد حدث مثل هذا الأمر منذ مطلع النهضة الحديثة الأولى فتأثرت العربية بأساليب لا تمت الى أساليبها بسبب . ولا نعني بهذه الأساليب « التعبيرات المستعارة » من مثل ( ذر الرماد في العيون ) و ( الاصطياد في الماء العكر ) الخ - فهي من قبيل المقترضات بين الأمم التي بلغت مستويات متقاربة من الرقي الفكري والحضاري ، واتسعت لغاتها ورقبت تبعاً لذلك ، وانما نعني طرائق نظم الكلام التي تختلف من لغة الى لغة ، والتي ينفى الجهل بها الى خلل في بلوغ الرسالة الى المرسل اليه للاختلال « الرموز » المتواضع عليه تلتقائهما بين أبناء اللغة الواحدة .

وان المطالع اليوم للنتاج العربي في الحقول التي ذكرناها أتفا يكاد يحس بالغبرة ازاء « اللغة » التي بها كتب معظم هذا النتاج ، لا لجهله بالمصطلحات الجديدة وحسب ، وانما للاختلال الذي أضرنا اليه اعلاه ، والذي يتمثل في نقل الصيغ الأجنبية بعجزها وبجرها ، وبغض النظر عن مطابقتها أو عدم مطابقتها للصيغ العربية . واذا كان للعلوم الصحيحة والمعادلات الرياضية والفيزيائية والكيميائية لغتها وأساليبها التي هي اقرب الى أساليب البرقيات ولغتها ، فان العلوم الإنسانية تحتاج الى دراية بأسرار اللغة لا تقل عن الدراية المطلوبة في مجال الادب نفسه . ولذا فانه لا يكفي أن يكون الناقد للكتابة في فرع من فروع هذه العلوم باللغة العربية متضلعا من المادة التي تدور عليها دراسته ، بل ينبغي أن يكون قادراً على نقل دقائق هذه المادة بامانة تامة الى القارئ العربي .

2 - ما قد يكون أصاب الصيغ العربية على مر العصور من تطور ، هذا التطور الذي تكاد تطمس معالمه الدراسات النحوية التقليدية المتحجرة حول اجازة النحويين او منعم صيغة من الصيغ ، او ترجيحهم بين الاجازة والمنع في ظاهرة من الظواهر التركيبية ، كالفصل مثلا بين المضاف والمضاف اليه بـ عنصر كلامي .

3 - الجملة العربية والمواضع التي لا يجوز فيها التصرف بطريقة نظم عناصرها ، لاخلال هذا التصرف بالسياق ، واعاقة الوقوف على المراد منه ، لتعثر الرسالة في الوصول الى المرسل اليه . والمقصود من ذلك كله تحاشي الاستعمالات الغريبة التي قد ترشح الى العربية بفعل النقل من اللغات الاجنبية ، او بسططان من اساليب تلك اللغات على المتربس العربي يعلم من العلوم المكتوبة بها حين يطمح الى الكتابة في هذا العلم بلغته القومية التي يفترض فيها ان تبلغ الرسالة نفسها الى كل فرد من افراد الامة ، بغض النظر عن معرفته او جهله باللغات الاخرى .

4 - المواضع التي يساعد التصرف فيها على تسريع وصول الرسالة الى جميع المرسل اليهم بالنسبة نفسها ، وتمكينهم بالتالي من التمتع بخيراتها ، وتوسيع دائرة معرفتهم وثقافتهم بشارها الشهية الجسدية .

ولا مرأ في ان هذه الامور وغيرها تساعد على التعريب والتوحيد اللغوي للذين نطمح جميعا لجعلها الخطوة الاولى في مسيرة الوحدة العربية الكبرى .

ولا تتوفر له هذه الامانة التي يحرص دون ريب على التحلى بها الا اذا كان يملك اولى ادواتها ، عنيانا التعبير الصحيح الميسور فهمه لكل متعلم طامع في زيادة نفسه علما ومعرفه .

ولعل الطريق الاوحد لبلوغ هذا الهدف هو قيام أبحاث علمية دقيقة تتناول بالدرس والتحصيل خصائص العربية في ضوء « علم اساليب اللغة » القائم على مبادئ اساسيين :

1 - « الابلاغية » التي تتضمن كل ما يتجاوز حد الكلام الموضوعي والذهني ، وحدود نقل الوقائع والامكار ، باللجوء الى عوامل تعبيرية معينة ، منها ابراز عنصر من عناصر الكلام بالتقديم او التأخير ، وتساقق العبارة ، وجرسها ، ونبرة المفظوظ ، واستخدام القيم العاطفية ، والاخرى التي تستدعي الى الذهن صورا معينة ، كالاستعارة من بجل ادبي خالد ، او من الامثال المسائرة ، او من الادب الشعبي .

2 - الخيار الاسلوبي الممثل في اباحة اللغة صيغتين او أكثر للتعبير عن الفكرة الواحدة ، وتمكين المستعمل من انتقاء انسب تلك الصيغ لنقل فكرته الى المخاطب واشدها حفولا باللطائف والدقائق .  
ومن شأن هذه الدراسات ان تتيح الوقوف على عدة امور اهمها :

1 - احصاء القيم الابلاغية والاخرى المستدعية للصور داخل عنصر اسلوبي معين في حقب زمنية شتى ( الصيغ البلاغية المتبعة مثلا في الدراسات الاسلوبية التقليدية )

## هوامش البحث :

- (\*) بحث التي في ندوة « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » التي نظمتها ( مركز دراسات الوحدة العربية ) في تونس ، 23 - 26 تشرين الثاني ( نوفمبر ) 1981 .
- (1) استفدنا كثيرا من عناصر هذه الفترة من كتاب : س . او مان وف . ف . فارتيرغ ، مشكلات الاسسبية وطرقها ( باريس : 1969 ) .
- (2) استفدنا بعض الآراء الواردة في هذه الفترة من البحث من دراسة : عبد الرزاق جعفر ، ادب الاطفال ( دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1979 ) .
- (3) من المفيد جدا في هذا السند الرجوع الى دراسة : محمد المنجي الميادى ، التعريب والتنسيق في الوطن العربي ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1980 ) .